(١٠)

نعمة الوقت[١]

الخطبة الأولى :

أما بعد ، فيا أيها الإخوة المسلمون :

نعمة الوقت نعمة عظيمة :

إنَّ من أعظم النِّعم التي أنعم الله بها علينا : نعمة الوقت ، أن هيَّأ لنا من الأوقات ما نستطيع أن ننفقه في الخير ، وفي عمل الصَّالحات ، وفي أداء الواجبات ، وفي إرضاء الله تبارك وتعالى ، وفي منفعة عباده ، و« خيرُ الناس أنفعهم للنّاس »[٢] ، و« الخلق عيال الله ، فأحبّهم إليه أنفعهم لعياله »[٣] .

وامتنّ الله بنعمة الوقت على عباده حينما قال : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ (إبراهيم:٣٣) ، وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (الفرقان:٦٢). يخلف الليل النّهار ، ويخلف النّهار الليل ، فمن فاته شيءٌ من عمل النّهار حاول أن يقضيَه في الليل ، ومن فاته شيء من عمل الليل حاول أن يقضيَه في النّهار ، وهكذا .

الله سائلنا عن الوقت :

فينبغي للمسلم أن يستفيد من وقته ، وألا يضيّعه عبثًا ، فإنّ الله سبحانه وتعالى سائله عن هذا الوقت . روى الإمام الترمذيّ عن أبي برزة الأسلميّ رضي الله عنه ، وروى

---

(١) أُلقيت في جامع الفاتح بالبحرين في ٢٤ صفر ١٤١٩هـ ، الموافق ١٩ يونيو ١٩٩٨م .

(٢) رواه القضاعي في الشهاب (١٢٣٤) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٨٩) ، عن جابر .

(٣) رواه أبو يعلى (٣٤٧٨) ، والقضاعي في الشهاب (١٣٠٦) ، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٩٠٠) ، عن أنس .

غيره عن معاذ بن جبل ﷺ : أنّ النبي ﷺ قال : «ما تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه؟»[1].

أربعة أسئلة رئيسة :

أربعة أسئلة رئيسة يُسأل عنها الإنسان أمام الله تعالى يوم القيامة ، منها سؤالان عن الوقت : يُسأل عن عمره عامّة ، وعن شبابه خاصّة .

يُسأل عن العمر ، والعمر هو الوقت ، والوقتُ هو الحياة ، ستُسأل عن عمرك عامّة : ماذا صنعت في هذا العمر؟ رُزقت خمسين سنة أو ستين سنة أو سبعين أو عشرين ، أيًّا كان عمرك قصيرًا أو طويلاً ستُسأل : ماذا صنعتَ في هذه السّنين؟

السنة اثنا عشر شهرًا ، الشهر ثلاثون يومًا ، اليوم أربع وعشرون ساعة ، الساعة ستون دقيقة ، الدقيقة ستون ثانية . ستُسأل عن كلّ نفس من أنفاسك ، وعن كلّ لحظه من لحظاتك ، فحضّر للسؤال جوابًا .

يُسأل عن عمره فيم أفناه .

ثم يُسأل عن شبابه فيم أبلاه .

الشباب مرحلة القوة بين ضعفين :

والشباب جزءٌ من العمر ، ولكنّه جزء متميّز ، إنه مرحلة الحيوية الدافقة ، مرحلة القوّة بين ضعفين : ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة . الله تعالى يقول : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ (الروم:٥٤) .

القوّة بين الضعف الأول والضعف الأخير هي مرحلة الشباب .

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧) ، وقال : حسن صحيح ، والدارمي في المقدمة (٥٣٧) ، وأبو يعلى (٧٤٣٤) ، عن أبي برزة ، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٤٦) . وحديث معاذ رواه البزار (٢٦٤٠) ، والطبراني (٦٠/٢٠) ، وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني والبزار بنحوه ، ورجال الطبراني رجال الصحيح ، غير صامت بن معاذ وعدي بن عدي الكندي ، وهما ثقتان (٦٢٧/١٠) .

فيُسأل الإنسان عن شبابه خاصّة : أين أنفق سنيّ شبابه؟ هل أنفقها في الطاعات؟ هل أنفقها في الدعوة إلى الله . في الجهاد في سبيل الله . في عمل الخيرات؟ أم أنفقها في الشهوات وفي المعاصي وفي الجري وراء الملذّات؟

سَيُسْأل الإنسان عن عُمره عامّة وعن شبابه خاصّة .

خصائص الوقت :

إنّ الوقت ـ أيها الإخوة المسلمون ـ يتميَّز بعدّة أمور :

الأمر الأوّل : أنه ثمين ، وثمين جدًّا :

الغربيون يقولون : الوقت من ذهب .

والحقيقة أنّ الوقت أغلى من الذهب وأنفس من الماس ومن الجوهر . الوقت هو الحياة ، هذه كلمة الإمام حسن البنا رحمه الله . الوقت هو الحياة!

ما هي حياتك أيها الإنسان؟ إنها الوقت ، الذي تقضيه من المهد إلى اللّحد ، من الميلاد إلى الوفاة . من صرخة الوضع إلى أنّة النّزع . هذا الوقت ما بين ساعة الميلاد وساعة الوفاة هو : حياتك . فمن ضيّع وقته ، فقد ضيَّع حياته .

الذين يقولون : تعالوا نقتل الوقت! هؤلاء المساكين الحمقى لا يدرون : أنّهم حينما يقتلون أوقاتهم إنّما يقتلون أنفسهم وهم لا يشعرون ، وينتحرون انتحارًا بطيئا .

وهؤلاء القَتَلة للأوقات ـ للأسف ـ لا تمسهم القوانين ، ولا تصل إليهم ، وهم يرتكبون جريمة بشعة في حقّ أنفسهم ، وفي حقّ مجتمعاتهم ، وفي حقّ أمّتهم .

الوقت ثمين جدًّا .

وللأسف أكثر من يضيّع الأوقات هم : المسلمون ، هم : العرب .

أذكر في أوّل زيارة لي إلى ألمانيا : سألت الأخ الذي استقبلني في المطار ورافقني إلى مكان المحاضرة : لماذا لا أرى الناس في الشوارع؟ قال : الناس في أعمالهم . ثمّ بعد المحاضرة . بعد الساعة الثامنة مساء ، قلت له : لماذا لا أرى

الناس في الشوارع؟ قال : الناس عادوا من أعمالهم متعبين ، ليرتاحوا في بيوتهم ويتهيّأوا لليوم التالي من الصباح الباكر .

النّاس هناك لا يملأون الشوارع كما في بلادنا . الناس في بلادنا في الشوارع إلى منتصف الليل ، كأنّما ليس وراءهم عمل .

في بعض البلاد العربيّة ، عُمل إحصاء لمتوسّط عمل الفرد ، فكان في اليوم الواحد حوالي نصف ساعة (٢٧ دقيقة)!

أمّة لا تُنتج ، أمّة تعيش عالة على غيرها .

نحن في حاجة إلى أن نعرف قيمة الوقت . الوقت هو الحياة .

أوّل ميزة للوقت : نفاسة الوقت ، فهو نفيس وثمين وغال جدًّا .

والأمر الثاني : أنّ هذا الوقت ينقضي بسرعة :

ما أسرع ما تمرّ الأيّام مرّ السّحاب .

يمرّ الصّبا وأنت لا تشعر ، والشباب وأنت لا تدري ، والكهولة وأنت لا تحسّ ، ثمّ يفجأك الموت ولم تصنع شيئًا .

الأيّام تنقضي بسرعة أيًّا كانت .

صحيح أنّ أيّام السرور تنقضي أسرع من أيّام الهموم ، ولكنّ الجميع ينقضي ، كما قال الشاعر :

مرَّت سنينٌ بالوصال وبالهنا ... فكأنها من قصرها أيام

ثم انثنت أيام هجر بعدها ... فكأنها من طولها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام[1]

الكلُّ ينتهي كالأحلام .

وأمر ثالث من خصائص الوقت : أنّ ما مضى منه لا يُعوَّض :

إذا كان الوقت من ذهب ـ كما يقول الغربيّون ـ فإنّ الذهب يمكن أن يُعوّض إذا ضاع منك ، ولكنّ الوقت الذي ينقضي منك لا يعوّض . وقد قال عبد الرحمن

---

(١) من شعر أبي تمام .

ابن زبيد اليامي : ليس من يوم إلا وهو ينادي : أنا يوم جديد ، وأنا عليكم شهيد ، ابن آدم إني لن أمرَّ بك أبدًا ، فاعمل فيّ خيرًا ، فإذا هو أمسى قال : اللهم لا تردني إلى الدنيا أبدا[1].

سيأتي الغد ، ولكن الغد يأتي بواجبات جديدة وأعمال جديدة ، لا تستطيع أن تقضي فيه عمل الأمس إلا على حساب عمل اليوم ، ولذلك قيل لعمر بن عبد العزيز : أخّر بعض أعمالك إلى الغد ، فقال : لقد أعجزني عمل يوم واحد فكيف إذا اجتمع عليّ عمل يومين[2]؟! وكان ﷺ يقول : إنّ الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما !

الليل والنّهار يعملان في عمرك ، يُبليان كلّ جديد ، ويقرِّبان كلّ بعيد ، فاعمل فيهما بطاعة الله عزَّ وجلَّ .

الإسلام يَعْمُر أوقات المسلم :

إنّ الأوقات نعمة عظيمة ، ولهذا فإن الإسلام عمر هذه الأوقات بالخير ، الصلاة جعلها كتابًا موقوتًا ، وجعل لها أوقاتًا محددّة حتى يتذكّر الإنسان كلّما أذنّ المؤذّن أنه جاء وقت الفريضة . وجعل للصيام شهرًا محددًا ، والحج له أشهر معلومات ، والزكاة حوليّة وبعض أنواعها في يوم الحصاد قال تعالى : ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ (الأنعام:١٤١) .

وهناك واجبات مرهونة بأوقاتها ، فيجب أن تؤدّيها في أوقاتها ، ولا تؤخّرها فإنّك لا تعلم أتعيش إلى الغد أم لا تعيش؟ إنّك حينما تخرج من بيتك لا تدري أتعود إليه حاملاً أو محمولا؟ إنّك حينما تلبس ثوبك لا تدري أتنزعه بيدك أم ينزعه عنك غاسلك؟

تزوّد من التقوى فإنّك لا تـدري ... إذا جنّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجـر
فكم من سليم مات من غير علّـة ... وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الأيام والليالي (٧) .

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩٨/٤٥) .

وكم من فتى يُمسي ويصبح لاهيًا وقد نُسجت أكفانه ولا يدري[1]

لا بدّ أن نعرف قيمة الأوقات قبل أن يأتي وقت نندم فيه على ما ضاع من أوقاتنا ، وليس ساعة مندم ، نرجو الخلاص ولات حين مناص .

متى يعرف قدر الوقت على الحقيقة؟ :

إنّما يُعرف قدر الوقت حقيقة ، عندما تأتي ساعة الاحتضار . عندما يحتضر الإنسان ويأتيه الموت ، هناك يتمنّى لو أُجِّل شهرًا أو أسبوعًا أو يومًا أو ساعة ، وهيهات ، ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون: ١٠، ١١) .

يتمنّى تأجيل الموت ، لكنّه لا يمكنه أن يؤجِّل الموت ، هيهات ، ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (نوح: ٤) .

وفي موقف آخر : في الآخرة حينما تُوفَّى كلُّ نفس ما كَسَبت ، وتُخلّد فيما عملت ، ويدخل أهل الجنّةِ الجنّة وأهل النّار النّار ، هناك يقول أهل النّار : ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ (فاطر: ٣٧) وهنا يكون الجواب الإلهي لهم : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (فاطر: ٣٧) .

﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم ﴾ أولم نعطكم من العمر ، ﴿ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ ، كان أمامكم سعة ، كان أمامكم فرص للتذكر والاعتبار ، ولكنّكم أضعتموها ، ﴿ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ يذكّركم بالله ويبشّر وينذر ، ﴿ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ .

الاهتمام بالأوقات في الإجازات وغيرها :

يجب ـ أيها الإخوة ـ أن نعرف قيمة أوقاتنا ، وأن نُنفقها فيما يُرضي الله ، وما ينفع أنفسنا وينفع الناس ، وخصوصًا في أيّام الإجازات .

---

(١) تنسب إلى على بن أبي طالب .

النّاس حينما تُقبل الإجازات كأنّما أُجيزوا من أداء الواجبات ، كأنّما أُجيزوا من عمل الصَّالحات ، كأنّما أُطلق لهم العِنان ليفعلوا ما يشاؤوا ، كأنّ وقت الإجازة قد انقطع فيه التكليف .

لا يا أخي ، أنت مُكلّف أبدًا ما دمت حيا مستطيعا : في الصيف وفي الشتاء ، وفي الربيع وفي الخريف ، وفي العمل وفي الإجازة . أنت خليفة الله في الأرض ، الواجبات منوطة بعنقك .

الترويح عن النفس بالمباح وبالاستطاعة :

من حقّك أن تستريح ، من حقّ الإنسان أن يُروّح عن نفسه ، كما قال النبي ﷺ لحنظلة : « يا حنظلة ، ساعة وساعة »[1] ، وكما قال الإمام عليّ رضي الله عنه : « روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإنّ القلب إذا أُكره عمي »[2] .

الترويح مشروع ، ولكن في حدود وفي إطار الشريعة الإسلاميّة التي تحكم أفعال المكلّفين في كلّ وقت .

أنت لست سائبًا ، أنت مشدود إلى شريعتك التي أحلّت الحلال وحرّمت الحرام.

مساوئ السفر إلى البلاد الأجنبية :

بعض الناس يذهب إلى بلاد لا يرى فيها إلا المنكرات . لماذا تفعل بنفسك هكذا؟

يذهب بعض الناس إلى بلاد في الغرب أو الشرق لا يسمع فيها أذانًا ، لا يجد فيها مسجدًا يصليّ فيه ، يمشي في الشوارع فيجد المنكرات ظاهرة ، والإباحيّة فاشية . ويرى أولاده الصغار ـ وهم زغب الحواصل ، لا ريش ولا جناح لهم ـ هذه المناظر ، فيتأثّرون بها شاء أم أبى .

تغرس هذه المناظر في نفوسهم ، وفي وعيهم ، وفي لا شعورهم ، أشياء تؤثّر عليهم في المستقبل .

---

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠) ، وأحمد (١٧٦٠٩) ، والترمذي في صفة الجنة (٢٤٥٢) ، وابن ماجه في الزهد (٤٢٣٩) ، عن حنظلة الأُسيديّ .

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء (٢/٣٠) .

بعض الإخوة قال لي : كنت في (لندن) وفي الحديقة الشهيرة (هايد بارك) ، ومعي ابني الصغير ، فرأيت منظرًا فظيعًا من المناظر الجنسيّة المثيرة التي يفعلها هؤلاء الناس ولا يبالون ، فقال لي ابني : ما هذا يا أبي؟ قلت له هؤلاء حيوانات . فقال وما يفعل هؤلاء الحيوانات؟ قال : فلم أجبه . ثم مشينا فإذا بمنظر أفظع وأفظع ، فلم أملك إلا أن آخذ طفلي وأرجع إلى الفندق وأسافر في اليوم التالي .

هذا ما نشاهده هناك .

ندفع لهم أموالنا لنشاهد هذه الأشياء ، ثم يشتموننا ويسخرون منّا من خلال الصور الكاريكاتوريّة التي تسخر بالعرب ورجال البترول! ثم كثيرا ما يسرقونه !

الاستدانة للسفر من أجل الرياء الاجتماعي والمظاهر الفارغة :

وبعض الناس لا يملكون ما يذهبون به إلى تلك البلاد ، ولكنّه ـ للأسف ـ يأبون إلا الرياء الاجتماعي والمظاهر الفارغة ، فيستدين ولا يجد مَنْ يُسلفه ، فيضطرّ إلى أن يستدين من البنك بقروض ربويّة . يُركب نفسه الإثم ويحمل نفسه تَبِعَةَ الحرام ، من أجل أمر ليس من الضروري ولا من الحاجيّ .

ما الذي يُلجئك إلى هذا أيها المسلم؟

إنّ المسلم لا يستدين من حلال إلا تحت وطأة الضرورة ، فإنَّ الدَّيْن همٌّ بالليل ومذلّة بالنّهار ، والنبيُّ ﷺ ، علّم بعض أصحابه أن يستعيذ بالله « من ضلع الدين[1] وقهر الرجال»[2]. وكان هو عليه الصلاة والسلام يستعيذ بالله في دبر كُلّ صلاة من المأثم والمغرم ـ المأثم : المعصية ، والمَغْرم : الاستدانة ـ فقيل له : يا رسول الله ، ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ قال : « إن الرجل إذا غرِم حدّث فكذب ووعد فأخلف»[3]. أي : أنّ الاستدانة تؤدي إلى فساد الأخلاق .

---

(١) ضلع الدين : أي ثقل الدين وشدته .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الدعوات (٦٣٦٩) ، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٦) ، كما رواه أحمد (١٢٦١٦) ، وأبو داود في الصلاة (١٥٤١) ، والترمذي في الدعوات (٣٤٨٤) ، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٥٠) ، عن أنس .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في الاستئذان (٨٣٢) ، ومسلم في المساجد (٥٨٩) ، كما رواه أحمد (٢٤٥٧٨) ، وأبو داود في الصلاة (٨٨٠) ، والنسائي في السهو (١٣٠٩) ، عن عائشة .

هكذا ، فلماذا يُورّط الإنسان نفسه في هذه الأمور؟

فكيف إذا كانت الاستدانة بالربا الذي آذن الله مرتكبيه بحرب من الله ورسوله ، و« لعن النبي ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه »[1].

مراعاة حدود الاستطاعة :

إذا كان ولا بدّ للإنسان أن يأخذ إجازة ويصيّف فيها ،فليكن في حدود استطاعته.

العبادات مقيّدة بالاستطاعة : « وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم »[2] ، ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (التغابن:١٦) ، ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ (الطلاق:٧) ، ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة:٢٨٦) .

فلماذا تكلّف نفسك أكثر من وسعها؟ والنبيُّ عليه الصلاة والسلام يقول : « لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه». قالوا : وكيف يذلّ نفسه يا رسول الله؟ قال : « يتعرّض من البلاء لما لا يطيق »[3].

وإن كان ولا بدّ ، وقدر الإنسان على أن يأخذ إجازة صيفيّة ، ولم يكن في بلده متّسع ، فليذهب إلى بلد عربيّ أو إسلاميّ ، لا يرى فيه مثل هذه المناظر التي تؤذي الأعين ، وتؤذي الأنفس والعقول .

توجيه الأبناء إلى الاستفادة من أوقاتهم في الإجازات :

لا بدّ ـ أيها الإخوة ـ أن نعرف قيمة الوقت .

الوقت مطلوب منّا رعايته في كلّ فصول العام ، وخصوصًا بالنّسبة لذرارينا وأولادنا .

ينبغي أن نوجّه أولادنا في فصل الصيف ، إلى الاستفادة من هذا الوقت .

---

(١) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٧) ، وأحمد (٣٨٠٩) ، والنسائي في الكبرى في التفسير (١٠٩٨٨) ، عن ابن مسعود .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨) ، ومسلم في الحج (١٣٣٧) ، عن أبي هريرة .

(٣) رواه الترمذي في الفتن (٢٢٥٤) ، وقال : حسن غريب ، وابن ماجه في الفتن (٤٠١٦) ، وحسنه الألباني في الصحيحة (٦١٣) ، عن حذيفة .

هناك أندية وهناك جمعيّات ، تقيم مشروعات وأنشطة للشباب وللبنات في تلك السّنّ المهمّة والحيويّة والمؤثّرة ، فينبغي أن نُوجّه أولادَنا وبناتِنا إلى الاستفادة من هذه الجمعيّات وهذه الأندية التي عليها إشراف وتوجيه سليم ، ولا ندع أولادنا لمن يمكن أن يأخذهم إلى طريق الهاوية ، والآباء غافلون ، والأمهات غافلات .

إنّنا مسؤولون عن هذا الجيل القادم . عن أولادنا ، والله تعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ (التحريم:٦) .

والنبيُّ ﷺ يقول : « كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته ، فالرجلُ راع في أهله وهو مسؤول عن رعيّته ، والمرأةُ راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادمُ راع في مال سيّده ومسؤول عن رعيّته،وكلّكم راع ومسؤول عن رعيّته»[1].

يا أيها الإخوة :

علينا نحن المسلمين أن نتّقي الله في أوقاتنا ، وأن نُحضّر للسؤال الكبير جوابًا حينما نُسأل عن عمرنا فيمَ أفنيناه ، وعن شبابنا فيمَ أبليناه؟!

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُبصّرنا بحقائق ديننا ، وأن يعلّمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علّمنا ، إنه سميع قريب .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

الخطبة الثانية :

أما بعد ، فيا أيها المسلمون :

في وداع الشيخ الشعراوي :

منذ يومين ودّعت الأمّة الإسلاميّة علَمًا من أعلامها ، ورجلاً من رجالات العلم ورجالات الدعوة الأفذاذ ، الذين عاشوا عمرهم للدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، ولخدمة القرآن ، وتفسير القرآن ، وخدمة العلم ، وتوجيه الأمّة إلى الخير .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣) ، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩) ، كما رواه أحمد (٤٤٩٥) ، وأبو داود في الخراج (٢٩٢٨) ، والترمذي في الجهاد (١٧٠٥) ، عن ابن عمر .

ودّعت الأمّة الإسلاميّة الشيخ الشعراوي ، أحد الرموز الذين كان لهم تأثيرهم طوال تلك العقود من السّنين ، وخاصّة في السنوات الثلاثين الأخيرة من عمره .

كان الشيخ الشعراوي أحد الرموز الإسلاميّة ، التي كان لها في خدمة الإسلام وخدمة القرآن موقف بارز لا يُضاهيه فيه أحد .

من مواهب العلامة المفسِّر الشعراوي :

ليس كلّ من قرأ القرآن فهمه ، ولا كلّ من فهم القرآن غاص في لآلئه وعثر على جواهره ، ولا كلّ من غاص في هذه اللآلئ وفي هذه الأعماق استطاع أن يعبّر عنها بما يقنع العقول ، ويُحرّك القلوب . ولكنّ الشيخ الشعراوي آتاه الله من المواهب ، ما جعله يفسّر القرآن تفسيراً يقنع عقل المثقّف المعاصر ، ويقنع الشخص الأمّيّ العادي .

القدرة على إقناع الخاصّة وإفهام العامّة ، قلّما يؤتاها إلا الرجال الأفذاذ ، الذين منحهم الله من المواهب ما لم يؤت غيرهم .

لقد رُزق الشيخ القبول عند الناس ، فلا تكاد تفتح تلفازًا إلا وجدت الشيخ الشعراوي يفسّر القرآن الكريم ، ووجدت الناس ينصتون إليه .

الشيخ الشعراوي عاش لهذه الدعوة ، وللقرآن ، وأظنّه أكمل تفسيره .

عندما لقيته في شهر رمضان الماضي ـ حينما كرّمته إمارة دبي وأعطته جائزة الشخصيّة الإسلاميّة لسنة ١٤١٨ هـ قلت له : ماذا بقي؟ قال : بقي حوالي ثلاثة أجزاء. قلت له: أسأل الله تبارك وتعالى أن يمدّ في عمرك حتى تكمل هذا التفسير .

وأظنّه أكمله ، أظنّه أتمّ هذا التفسير ، والحمد لله ربّ العالمين .

لقد أُعطي الشيخ الشعراوي أوسمةً شتّى ، وأُعطي جوائز شتّى : من مصر ، ومن دبي ، ومن غيرها . ولكن أعظم وسام على صدره وأعظم جائزة هي : حبّ الناس له ، وقبول الناس له .

قد يختلف بعض الناس مع الشيخ الشعراوي في بعض ما ذهب إليه من آراء أو نحو ذلك ، ولكن لا يختلف مسلم ومسلم في أنّ الشيخ الشعراوي أحد أعمدة الدعوة الإسلاميّة في هذا العصر ، وأحد الرجال الذين حملوا لواء هذه الدعوة .

الحذر من قبض العلم :

ونحن في مرحلة نفقد فيها العلماء الكبار واحدًا بعد الآخر ، ومن فقدناه قلّما يُعوَّض .

فقدنا الشيخ الغزالي رحمه الله ، وفقدنا الشيخ جاد الحقّ ، وفقدنا الشيخ خالد محمّد خالد ، وفقدنا الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود ، وفقدنا الشيخ عبد الفتّاح أبو غدّة ، وفقدنا وفقدنا .

وها نحن نُودّع الآن الشيخ الشعراوي .

وأخشى ما نخشاه : أن يذهب هؤلاء ، ولا نجد من يسدّ الثغرة بعدهم ، وهو ما حذّرنا منه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه عبد الله بن عمرو : أنّ النبيَّ عليه الصلاة والسلام قال : « إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهّالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلّوا وأضلّوا»[1] .

وهذه هي الكارثة : الرؤوسُ الجُهّال الذين يظهرون هنا وهناك ، يتبوّأون المناصب ، وتكبّرهم أجهزة الإعلام ، وتُضَخّم من شخصيّتهم ، ويُسألون فيفتون بغير علم ، يقولون على الله ما لا يعلمون ، لم يلجأوا في العلم إلى ركن وثيق ، ولا إلى حصن حصين ، فهم يُفتون بغير علم ، فَيَضلّون ويُضِلّون .

من أجل هذا نبكي على الشيخ الشعراوي .

بل نحن لا نبكي عليه ، فلقد لقي ربّه ، ونسأله تعالى أن يجعله راضيًا مرضيًا ، وأن يتقبّله في الصالحين من عباده ، وأن يجزيه عن أمّته وعن دينه وعن العلم ، وعن القرآن خير ما يجزي به العلماء العاملين ، والدعاة الصادقين ، والأئمّة المجاهدين .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (١٠٠) ، ومسلم (٢٦٧٣) ، كلاهما في العلم ، وأحمد (٦٥١١) ، والترمذي (٢٦٥٢) ، والنسائي في الكبري (٥٩٠٧) ، كلاهما في العلم ، وابن ماجه في المقدمة (٥٢) ، عن عبد الله بن عمرو .

لا نبكي على الشيخ الشعراوي ، إنّما نبكي على أنفسنا ، نبكي على الأزهر الآن وهو يُغيَّر ويُطوَّر وينتقص من أطرافه . يُنتقص من العلوم الدينيّة واللغويّة في مناهجه وفي برامجه ، وكلّ هذا على حساب العلماء الذين نرجوهم ليحملوا الرسالة .

نبكي على أنفسنا حينما نودّع علماءنا ، ولا نجد في الساحة من يملأها من الرجال الأفذاذ .

مسؤوليّة الأمّة أن تُهيِّئ من أبنائها من يحمل الراية :

أن تُهيّئ من أبنائها من يحمل الراية ، من يرفع اللواء ، من يسدّ الثغرة ، من يقف أمام الموجات التي تريد أن تسلخ هذه الأمّة من جلدها ، وأن تقطعها عن جذورها ، وأن تهدمها من أساسها .

هناك القوى المعادية للإسلام وما أكثرها : الصهيونيّة العالميّة ، الصليبيّة الغربية ، الوثنيّة الشرقيّة ، القوى العلمانيّة اللادينية في الداخل والخارج . كلّ هذه القوى تختلف فيما بينها وتتفق علينا ، فلا بدّ أن نُعِدَّ لها رجالاً يقاومون الشُبهات بالحُجَج ، يقاومون الأباطيل بالحقائق ، يقاومون هذه المفتريات بالدين الصحيح ، المأخوذ من القرآن والسّنّة ، المعتمدة على فقه سليم :

فقه للنصوص .

وفقه للمقاصد .

وفقه للمآلات .

وفقه للموازنات .

وفقه للأولويّات .

وفقه للواقع .

هذا هو الفقه القرآني : ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام:٩٨).

ما أحوجنا إلى فقهاء من هذا النّوع .

حينما نودّع الشيخ الشعراوي لا نبكي عليه ، إنّما نبكي على أمّتنا ، ونبكي على الساحة التي تخلو يومًا بعد يوم من أمثال هؤلاء الرجال .

استمرار ميراث النبوة :

ولكنّنا واثقون أنّ الله تبارك وتعالى لن يتخلّى عن هذا الدين : « إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها »[1] ، « يحمل هذا العلم (ميراث النبوة) من كلّ خَلَفٍ عدولُه (من كلّ جيل أعدل مَنْ فيه وثقات من فيه) ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين »[2] . والله تعالى يقول : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ (الأنعام:٨٩). ويقول عزَّ وجلَّ :﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٨١) .

هناك أمّة تهدي بالحق ، وتعدل بالحق ، تقضي بالحق لا تنحرف عنه . هي الطائفة المنصورة التي صحَّت بها الأحاديث عن عدد من الصحابة عن رسول الله ﷺ أنّه : « لا تزال طائفة من أمّتي قائمة بأمر الله ، لا يضرّهم من خذلهم أو خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس »[3] وهم مستمسكون بهذا الدين .

هذه الطائفة هي : المستمسكة بالحق ، المنصورة بالحق ، المؤيَّدة بالحق .

ولهذا فنحن مع خوفنا مُستبشرون ، ولا نيأس أبدًا ، فـ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (يوسف:٨٧).

رحم الله شيخنا الشيخ الشعراوي ، فقد كان شيخي ، درّسني وأنا في المرحلة الثانويّة ، درّسني علم البلاغة العربيّة ، وكان هو في الأصل أستاذًا للغة وأستاذًا في الأدب .

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٨ .

(٢) سبق تخريجه صـ٢٨ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١) ، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧) ، كما رواه أحمد (١٦٩٣٢) ، عن معاوية ، ومتنه مروي عن عدد من الصحابة .

رحم الله الشيخ الشعراوي ، وجزاه عن أمّته خيراً ، وتقبَّله في الصالحين من عباده ، وعوّض أمّتنا فيه خيراً .

وإن شاء الله سنُصلّي صلاة الغائب عليه بعد الجمعة .

اللهم اغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين .

اللهم أكرمنا ولا تهنّا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وزدنا ولا تنقصنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنّا وأرضنا .

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا ، واجعل غدنا خيراً من يومنا ، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئنّا ، سَخَاءً رَخَاءً ، وسائر بلاد المسلمين .

* * *

(١١)
أقبل شهر الصيام[١]

الخطبة الأولى :

أما بعد ، فيا أيها الإخوة المسلمون :

بعد أيام قليلة سيهلّ علينا بهلاله المبارك : شهر رمضان ، ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة:١٨٥) .

من فضائل شهر رمضان :

شهر رمضان شهر تجديد الإيمان ، شهر تدارك المسلم ما فاته من تفريط في جنب الله . فيه يحاول كلّ مسلم أن يتطهرّ من سيّئاته ، وأن يضاعف من حسناته .

فهذا الشهر فرصةٌ ليشحن المسلم بطاريّته الروحيّة والإيمانيّة التي فرغت ، أو أوشكت أن تفرغ ، من الغفلات واتّباع الشهوات ، وإضاعة الصلوات . فيه فرصة ليخرج المسلم مغفور الذنوب من هذا الشهر الكريم ، فـ « مَن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه »[٢] « ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدّم من ذنبه »[٣]. إنها فرصة للتطهّر والغفران .

---

(١) ألقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في شعبان ١٤٢٣هـ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في فضل ليلة القدر (٢٠١٤) ، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠) ، كما رواه أحمد (٨٥٧٦) ، وأبو داود في الصلاة (١٣٧٢) ، والنسائي في الصيام (٢٢٠٢) ، عن أبي هريرة .

(٣) متفق عليه : البخاري في الإيمان (٣٧) ، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩) ، كما رواه أحمد (٧١٧٠) ، والنسائي في قيام الليل (١٦٠٢) ، عن أبي هريرة .

ويا خَيْبَة مَنْ أتاه هذا الموسم ولم يظفر منه بمغفرة ، هذا هو الشقيّ . الشقيّ من جاءه رمضان ولم يُغْفر له ، دعا جبريل ، وأمّن عليه محمّدٌ ﷺ : « بُعدًا لمن أدرك رمضان فلم يُغْفر له » . هكذا قال جبريل ، وقال مُحمَّد ﷺ : « آمين »[1] . فيا ويل مَنْ دعا عليه جبريل وأمَّن على دعائه محمّدٌ عليه الصلاة والسلام ، أمين السماء وأمين الأرض .

شهر رمضان فرصة للتطهّر والغفران ، فتنافسوا في الخيرات ، لمثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

الشقيّ مَنْ حرم رحمة الله في رمضان .

الفرق بين استعداد السلف واستعدادنا في استقبال رمضان :

ولذلك كان السلف الصالح إذا أقبل رمضان يقولون : مرحبًا بالمُطهّر! الذي نتطهّر فيه من الذنوب والخطايا . ولذلك كانوا يتأهبّون لرمضان

أما نحن فنتأهب لرمضان ونستعدّ له ، بإحضار ما لذّ وطاب من الطعام والشراب . انظر إلى الناس في الأسواق والجمعيّات ماذا يعدّون لرمضان؟! المسلمون يأكلون في رمضان وينفقون في رمضان أضعاف ما ينفقون في الشهور الأخرى . فليس هو شهرًا للإعداد للتقوى كما قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣) . يعني : لعلكم تتهيّأون للتقوى بهذا الصيام ، وتتعلمون فيه مراقبة الله عزَّ وجلَّ .

فالمسلم يصوم عن الطعام والشراب كما في الحديث القدسيّ : « يدع الطعام من أجلي ، ويدع الشراب من أجلي ، ويدع لذّته من أجلي ، ويدع زوجته من أجلي »[2] .

---

(١) رواه ابن حبان في البر والإحسان (٤٠٩)، وقال الأرناؤوط : صحيح لغيره، والطبراني في الكبير (٢٩١/١٩) ، عن مالك بن الحويرث ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه عمران بن أبان وثقه ابن حبان وضعفه غير واحد وبقية رجاله ثقات (٢٥٩/١٠) ، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (٩٩٦) .

(٢) رواه ابن خزيمة في الصيام (١٨٩٧) ، وأصل الحديث متفق عليه ، عن أبي هريرة .

الصيام الحقيقي :

الذي يفطم نفسه عن الشهوات التي كانت حلالاً له أوْلى به أن يفطم نفسه عن الحرام في شهر رمضان .

ليس الصيام أن يصوم بطنك وفرجك ، وكلّ جوارحك مفطرة : لسانك يفطر على الكذب والغيبة والنميمة ، والسخرية والسّبّ والشتيمة ، وعينك تفطر على رؤية الحرام في الطرقات أو في التلفزيون ، وكذلك أُذُنك تفطر على سماع الأغاني الخليعة والكلمات البذيئة .

لا بدّ أن يصوم كلّك عمّا حرّم الله عزّ وجلّ .

رمضان شهر لتربية الإرادة :

شهر الصبر ، الصبر يعني قوّة الإرادة ، فلا بدّ أن نتعلّم من رمضان كيف تقوى إرادتنا ؟ لا بدَّ أن نُهيِّئ أنفسنا لتقوى الله في شهر رمضان ، لنرتقي بأرواحنا ، بأنفسنا ، لننافس الملائكة ويباهي الله بنا الملائكة .

الفهم الخاطئ عن شهر الصيام :

أرى المسلمين أساؤوا فهم شهر رمضان ، فهناك من ظنّوا أنّ شهر رمضان شهر الكسل والبطالة ، وهناك من ظنّوا أنّ شهر رمضان هو شهر الأكل والشرب طول الليل والنوّم طول النّهار ، وهناك من اعتقدوا أنّ شهر رمضان شهر السهرات المباحة (النّعنّشة والفرفشة) شهر الفوازير المائعة ، وهناك من اعتقدوا أنّ شهر رمضان شهر السّباب والشّجار يسبّ الإنسان صاحبه ، ثمّ يقول الناس : اعذروه فإنّه صائم! كأنّ الإسلام شرع الصيام ليفسد الأخلاق ، والنبيّ ﷺ يقول : « والصيام جنّة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإنْ سابّه أحد أو قاتله فليقل : إنّي امرؤ صائم»[1] يقولها في نفسه ، ويقولها لصاحبه ، إنّي صائم فلا ينبغي أن أخرق الصيام وأن أجرح الصيام .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (١٨٩٤) ، ومسلم (١١٥١) ، كلاهما في الصوم ، كما رواه أحمد (٥٠٥٩) ، وأبو داود (٢٣٦٣) ، والنسائي (٢٢١٦) ، كلاهما في الصوم ، عن أبي هريرة .

هل السباب والغيبة تفطر ؟

حتى إنّ بعض علماء السلف قالوا : إنّ مثل هذه الأشياء ـ من السّباب والغيبة والنّميمة والكذب ـ تفطِّر الصائم ، أي : كأنّما أكل أو شرب ، وعليه أن يعيد يومًا بدل هذا اليوم . وقال جمهور العلماء : لا ، هي لا تفطّره ، ولكنّها تضيّع أجره .

فما أحمق هذا المسكين الذي يظلّ جائعًا عطشان يومًا كاملاً ، ثمّ لا ينال من الأجر مثقال ذرّة . ضيّع ثوابه وأجره بهذا الهُراء . بهذا الكلام الفارغ ، الذي يضر ولا ينفع .

فاستبقوا الخيرات :

يا أيها الإخوة المسلمون :

نحن في حاجة إلى أن نستبق الخيرات ، وأن نفطم النّفوس عن الشهوات ، وأن نسابق في عمل الصالحات ، وأن نصوم فنحسن الصيام ، ونقوم فنحسن القيام .

رمضان ربيع الحياة الإسلاميّة :

أنا أسمّي رمضان : ربيع الحياة الإسلاميّة ، ففيه تتجدد حياتنا الإسلامية كل عام ، فيه تتجدد العقول بدروس العلم والمعرفة ، وفيه تتجدّد القلوب بالإيمان والعبادة ، وفيه تتجدّد الأسرة بالتلاقي والترابط ، ويتجدّد المجتمع كلّه بحسن الصلة والبحث عن الفقراء والمساكين وإطعام الجائعين . فلا بدّ أن نستفيد من هذا الرّبيع وبالحياة الإسلاميّة الإيمانيّة .

الاستفادة من رمضان لاستلهام الماضي المجيد :

وما أحوجنا ، ثمّ ما أحوجنا ، إلى أن نستفيد من رمضان وروحانيّة رمضان والجوّ الرباني في رمضان ، ما أحوجنا إلى ذلك في أيامنا هذه ، والإسلام يهاجم من كلّ جانب ، وأمّة الإسلام في أسوأ أحوالها ، تمزّق وتشرذم وضياع وهوان واستخذاء أمام الأعداء .

الأمّة التي كان لها ماضٍ مزدهر ، الأمّة التي كان خليفتها يتحدى السّحابة في السماء ، هذه الأمّة أصبحت تستخذي وتستسلم أمام الأعداء ، هذه الأمّة أصبحت

في مرحلتها الغثائيّة : « . ولكنّكم غثاء كغثاء السّيل»[1] ، الغثاء الذي يجمع أشياء غير متناسبة وغير متناسقة : خشبٌ وحطبٌ وقشّ وورق وعيدان ، ولا تناسق بينها ، وكلّها خفيفة سطحيّة ، لا تنزل إلى الأعماق ، وليس لها هدف تسعى إليه ولا مجرى معلوم تمشي فيه .

هذه هي الأمّة في مرحلة الغثاء ، ليس لها هدف واضح ، ولا طريق معلوم .

شهر الانتصارات :

الأمّة في هذه المرحلة في حاجة إلى أن تتلقّى دروسًا من رمضان ، وتستفيد من هذا الشهر الكريم ، الذي وقعت فيه وقائع بين المسلمين وأعدائهم ، انتصر فيها هذا الدين ، وعلت كلمة الإيمان وارتفعت راية القرآن :

١- بدر : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (آل عمران:١٢٣) .

٢- فتح مكّة : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ (النصر:١-٣).

٣- **معركة عين جالوت** : التي انتصر فيها المسلمون على التتار في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ .

ومعارك شتّى طوال التاريخ الإسلاميّ ، حدثت في شهر رمضان .

فعلينا ـ أيها الإخوة المسلمون ـ أن نستفيد من شهر رمضان . أن نغذّي فيه أرواحنا بالإيمان واليقين . أن نقوّي الصلة فيه بربّنا . أن نستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها .

على الأمة الإسلامية أن تضع يدها في يد الله :

لقد هانت هذه الأمّة على نفسها ، فهانت على ربّها ، فهانت على أعدائها فما عادوا يقيمون لها وزنًا ، ولا يرعون لها حُرمة ، ولا يرقبون فيها إلاًّ ولا ذمّة .

الأمّة في حاجة إلى أن تضع يدها في يد الله ، الأمّة في حاجة إلى أن تتداوى من داء الغفلة ، فشرّ ما أصاب أمّتنا في هذه الفترة هو : الغفلة ، والغفلة داء وبيل ، وداء

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٣ .

عُضال . الله تعالى يقول لرسوله : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف:٢٠٥).

لا تغفل عن ربك . ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (الكهف:٢٨) .

لا يمكن أن تنتصر هذه الأمّة وقد نسيت ربّها ، فأنساها أنفسها ، ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (التوبة:٦٧) ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (الحشر:١٩) .

لا بدّ أن تذكر الأمّة ربّها ولاتيأس من روح الله :

في ساعات الشدائد لا يذكر الإنسان إلا ربه . ويقول ما قال ذو النّون حينما التقمه الحوت : ﴿ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾

(الأنبياء:٨٧)

نادى في الظلمات : ظلمة البحر ، وظلمة الليل ، وظلمة بطن الحوت . هل يظنّ أحد ابتلعه الحوت أن ينجو؟ ولكنّ يونس ـ ذا النّون ـ لم ييأس وقد التقمه الحوت وأصبح بطن الحوت قبرًا له ، ﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنبياء:٨٧،٨٨).

ولذلك جاء في الحديث : «دعوة ذي النّون إذ دعا وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين ، فإنّه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قطّ إلا استجاب الله له»[1].

---

(١) رواه أحمد (١٤٦٢) ، وقال مخرجوه : إسناده حسن ، والترمذي في الدعوات (٣٥٠٥) ، وسكت الترمذي عنه ، إلا أنه قال : ورواه جماعة عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن سعد فلم يقل فيه عن أبيه ، والحاكم في الدعاء (٥٠٥/١) ، وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٣) ، عن سعد بن أبي وقاص .

لا تيأس من روح الله ، مهما نزل بك من الشدائد ، ومهما أحاط بك من المصائب ، اعلم أنّ هناك ربًّا يسيّر هذا الكون ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، خلق الأسباب ، ولكن لا تحكم عليه الأسباب ، يستطيع أن يفعل بسبب ، ويستطيع أن يفعل بغير سبب ، ويستطيع أن يعطّل الأسباب ، فيجعل النّار لا تحرق ، ويجعل البحر لا يغرق ، إنه الله عزَّ وجلَّ .

يجب أن نتعلّم من رمضان : أن نضع أيدينا في يد الله وأن نقول : يا ربّ . يا ربّ الأرباب ، ويا مسببّ الأسباب ، ويا مالك الملك ، يا مَنْ تعزّ مَنْ تشاء وتذلّ مَنْ تشاء ، اقهر أعداء الإسلام ، ونجّ هذه الأمّة من الغمّ والهمّ والكرب العظيم .

ما أحوجنا في شهر رمضان إلى أن نبسط أكفّنا بالضراعة إلى الله ، شاعرين بالحاجة والاضطرار ، وهو يجيب المضطرّ إذا دعاه ، إذا دعوناه مضطريّن أجابنا .

رمضان والمصالحة مع الله عز وجل :

ما أحوجنا إلى أن نستفيد من شهر رمضان لنصطلح على الله ، لا بدّ من مصالحة مع الله ، ولا بدّ أن نعقد مصالحة مع أنفسنا ، لا بدّ أن تتصالح هذه الأمّة المتصارعة فيما بينها ، التي مزّقتها الفرقة ومزّقها التشرذم . هذه الأمّة قوّة كبيرة ، ولكنّها قوّة مقطّعة الأوصال ، قطّعتها العصبيات والأيدلوجيّات والأهواء والشهوات .

رُبّ ضارّة نافعة :

من ثمرات الهجمة الصهيونيّة والأمريكيّة والصليبيّة الأخيرة على الإسلام وأمّة الإسلام : إشعارنا أننا ـ نحن المسلمين ـ أمة واحدة ، وكم من منحة في طيّ محنة ، إنّ أعداءنا ينظرون إلى المسلمين باعتبارهم أمّة واحدة! نحن حاولنا ـ أو حاول بعضنا ـ أن نضيّع هذا المعنى ، وأن نميت هذا الشعور بين جنوبنا وفي داخلنا : هؤلاء عرب وهؤلاء عجم ، وهؤلاء هنود ، وهؤلاء أتراك ، وهؤلاء أندونيسيّون ، وهؤلاء . . . حتى داخل العرب : هؤلاء شُوّام وسوريّون ، وهؤلاء مصريّون ، وهؤلاء مغاربة ، إلخ . أما هؤلاء فينظرون إلى أمّة الإسلام أمّة واحدة .

ولهذا ينبغي أن نتوب من الغفلة ، فننظر إلى أعدائنا أنّهم كلّهم جبهة واحدة . الفقهاء قالوا : الكفر كلّه ملّة واحدة ، والله تعالى قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (الأنفال:٧٣) .

ولذلك رأيت هذا الشعور قد تنامى ، شعور وحدة الأمّة ، من جاكرتا . من جنوب الفلبين إلى رباط الفتح . إلى نواكشوط ، كلّ هذه الأمّة شعرت بأنّها أمّة واحدة ، وأنّها مهما حاولت أن تُخْفي هذا فإنّ عدوّها يعاملها على أنها أمّة الإسلام. فلا يجوز أن يعاملنا عدوّنا على هذا ونعامل أنفسنا على أنّنا أمم متفرّقة.

الدعوة إلى المصالحة مع الأمة ومع أنفسنا :

ولذلك ينمِّي هذا الشهر فينا شعور مهمًّا ، ومن واجبنا أن نقوِّيه وأن نغذيه ، ويجب أن ندعو إلى أن يتصالح أبناء الأمّة بعضهم مع بعض ، العرب والعجم ، العرب بعضهم وبعض أوّلاً ، ثم العرب والعجم ثانيًا .

العرب لا يستطيعون أن ينشئوا قمّة تجمعهم ، إلا إذا صدرت إليهم الأوامر ! ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

ليبيا تريد أن تخرج من العرب وتلتحق بأفريقيا ، سواء كان هذا صوابًا أم خطأ فهذا ثورة على هذا العجز العربيّ، الذي لا يستطيع أن يحرّك ساكنًا أو يفعل شيئًا ، أمام الجبروت الصهيوني ، وأمام العدوان على العراق ، وأمام هذه القضايا الكبيرة .

يجب أن يتصالح الحكّام بعضهم وبعض ، وأن ينسوا آثار حرب الخليج التي مزّقت الأمّة ، ويجب أن يصطلح الحكّام مع الشعوب ، وأن يردموا هذه الهوّة التي جعلت الحكّام في وادٍ والشعوب في أودية .

يجب أن تصطلح الأمّة ، تصطلح النّخب والجماهير ، ويصطلح الأغنياء والفقراء ، الأقوياء والضعفاء ، الإسلاميّون والقوميّون ، الإسلاميّون بعضهم وبعض . هذا أوان التلاحم بين الجميع ، وأن يكونوا كالبنيان المرصوص ، لأنّنا في وقت معركة ، ووقت المعركة لا مجال فيها للخلاف والتفرّق ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف:٤).

لا بدّ أن نصطلح مع أنفسنا ، لا بدّ من مصالحة عامّة تجنّد الأمّة كلّها في المعركة .

مصدر القوة والنصر :

ولا بدّ من مصالحة بعد ذلك ، وقبل ذلك ، مع (الله) عزَّ وجلَّ ، فهو مصدر قوّتنا ، وهو الذي نلجأ إليه عند الشدائد والكربات ، فيقوّي الضعيف ، ويأخذ بأيدي الفقير ، ويمدّ بالنّصر والقوّة ويُنْزل الملائكة ، ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (الأنفال:٩) .

من شرِّ أمراض الأمة : الغفلة عن الله :

شرّ ما أصيبت به هذه الأمّة في فترتها الأخيرة : الغفلة ، الغفلة عن الله ، والغفلة عن الآخرة ، ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (الروم:٦،٧) .

الغفلة عن الآخرة :

الغفلة عن الآخرة : أن يعيش الإنسان في يومه وينسى غده ، ينسى مستقبله ، ينسى قضيته المصيرية الأولى : أهو من أهل الجنّة أم من أهل النار .

أذهلهم الطين عن الدين :

النّاس غفلوا عن الآخرة ، واستغرقتهم الدنيا ، عاشوا في وَحَلِ الدنيا وفي طين الدنيا ، أذهلهم الطين عن الدين ، وأذهلتهم الأولى عن الآخرة ، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، ﴿ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (التوبة:٣٨) ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (آل عمران:١٨٥) .

الغفلة عن الآخرة ، والاستغراق في الدنيا ، والركون إليها هي الآفة . اتّخذنا الدنيا ربًّا فاتّخذتنا الدنيا عبيدًا لها ، خدمنا الدنيا فجعلتنا خدّامًا لها . والواجب أن يملك المؤمن الدنيا ولا تملكه ، أن يعيش فيها ولا تعيش فيه ، أن يجعل الدنيا في

يده ولا يجعلها في قلبه ، أن يكون أكبر همّه ومبلغ علمه (الآخرة) وليست الدنيا . ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ (النجم:٢٩،٣٠) ، ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات:٣٧-٣٩) .

الغفلة عن سنن الله :

ثمّ : الغفلة عن سنن الله في الآفاق والأنفس ، في الكون والمجتمع . غفلنا عن هذه السنن ، عمل بها أعداؤنا فكسبوا الدنيا ، وأهملناها فأضعنا الدنيا وأضعنا الدين . عمل أعداؤنا بمراعاة سنن الله في الأسباب والمسببات ، فتقدّموا وتخلّفنا ، وتعلموا وجهلنا ، ونظّموا أمورهم وأصبحت أمورنا فوضى . ومن سنن الله : ألا ينتصر الجهل على العلم ، ولا الفوضى على النّظام ، ولا القوّة على الضعف ، ولا التلاحم على التفرّق . فينبغي أن ننظر في سنن الله سبحانه وتعالى .

لماذا قوي أعداؤنا ولماذا ضعفنا ؟ هذا ليس عبثًا ، إنه يجري وفق قوانين لا تتبدّل ولا تتخلّف .

نقول : أعداؤنا يخطّطون ضدّنا ، ويفعلون كذا وكذا! فإلى متى نظلّ نقول هذا؟ إلى متى يخطّط لنا أعداؤنا ولا نخطّط نحن لأنفسنا ؟

من آثار الغفلة :

إنّ هذه الغفلة هي التي خرّبت القُوى العقليّة ، وخرّبت الحواس التي نطلّ بها على الكون والحياة ، وهي أدوات تعليمنا ، ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ (الأعراف:١٧٩) هؤلاء حطب جهنم لهم قلوب لكنّهم عطّلوها : ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٩) . إنها الغفلة التي تجعل أصحابها كالأنعام بل أضلّ من الأنعام سبيلاً ، لأنّ الأنعام لم تؤت ما أوتوا من عقول ومواهب وقوى روحيّة وعقليّة . ثمّ إنّ الأنعام تؤديّ وظائفها ، هل رأيت بقرة تمرّدت أن تحلب . أو رأيت حمارًا تمرّد على أن يُركب؟ هي تؤدّي وظائفها .

ولكن الإنسان ـ الذي خلقه الله تعالى لعبادته تعالى ولعمارة الأرض ولخلافته في هذه الأرض ـ لم يؤدّ وظيفته . لذلك كان هؤلاء كالأنعام ، بل هم أضلّ من الأنعام سبيلا : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٩) .

يجب أن نتداوى من هذه الغفلة .

إنّ من ثمرات الهجمة الصهيونيّة الصليبيّة الأمريكيّة الأخيرة على الإسلام وأمّته : أنها أشعرتنا بالحاجة إلى الله ، كلّنا يقول : ﴿ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ (النجم:٥٧،٥٨) .

لا نملك ما يملك الأمريكان من قُوى جبّارة : قُوى عسكريّة ، وقُوى اقتصاديّة ، وقُوى علميّة ، وقُوى استخباريّة . لا نملك ما يملك هؤلاء ، فليس لنا إلا (الله) ، فلنمدّ أيدينا إليه .

ماذا تملك أمتنا ؟!

١- قوة الإيمان :

وأنا أقول : صحيح ، أننا لا نملك من القوى المادّيّة ما يملك الأمريكان والصهاينة وحلفاؤهم ، ولكنّا نملك قوّة الإيمان ، الإيمان الذي يتحدى الجبابرة ولا يُبالي بهم .

سحرة فرعون حينما خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان وقالوا : ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ (طه:٧٠) ، بعد أن حصحص الحقّ أمامهم ، وعرفوا بمهارتهم في السّحر أنّ خصمهم هذا ليس بساحر ، وأنّ ما فعله لا يمكن أن يقدّمه ساحر إنّما هو من الله ، فخرّوا ساجدين مؤمنين بربّ العالمين ، وقال فرعون لهم : ﴿ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝٧١ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾ (طه:٧١،٧٢) قبل دقائق كانوا يقولون : ﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الشعراء:٤٤) ، ثمّ الآن يقولون : ﴿ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (طه:٧٢).

انظر إلى هؤلاء السّحرة المساكين الفقراء الذين كانوا يحتاجون إلى الأجر من فرعون ، الآن ينظرون إلى فرعون باستهانة وازدراء : ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ (طه:٧٢) . إنه كبرياء الإيمان . استعلاء الإيمان .

أمّتنا تملك قوّة الإيمان .

٢- قوة الرسالة :

وتملك أمتنا قوّة الرسالة التي تعتقد أنها طوق النّجاة للبشريّة في هذا العصر . البشريّة التي غرقت في ظلمات الجاهليّة الحديثة ، إذ غرقت في المادّيّة المُجْحفة ، والإباحيّة المسرفة ، والإمبرياليّة المتعجرفة ، والمظالم الواقعة على الناس من الناس .

طوق النّجاة للبشريّة في هذه الرسالة ، رسالة العدل والرحمة للعالمين ، رسالة الأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام . أجل ، لن ينجي البشريّة ممّا هي فيه إلا رسالة الإسلام .

هذه قوّة تملكها أمّتنا ، أمّة الدعوة ، أمّة الرسالة الخالدة .

٣- قوة الأخلاق :

وتملك هذه الأمّة : قوّة الأخلاق . لا تزال هذه الأمّة تملك من الأخلاق ما لا يملكه غيرها ، الأخلاق التي صنعها الإسلام ، وغذّاها الإيمان ، وربّاها محمّد عليه الصلاة والسلام الذي قال : « إنّما بعثت لأتمم صالح الأخلاق »[1] .

هذه الأمّة تستطيع أن تعيش بالقليل وترفض الكثير ، أمّة عندها قناعة عجيبة ، إذا هيّئت وُجنّدت لرسالة . إذا عرفت أنّ هناك رسالة ستسعى من أجلها وتحيا لها وتموت في سبيلها ، فإنّها مستعدّة أن تقنع بالقليل وتعيش بأقلّ العيش .

ولكنّها لا تستطيع أن تضحّي بذلك من أجل الحكّام ، الذين يكسبون الحرام ، ويأكلون السحت ، ويعطون الشعوب الملاليم ، ويلعبون هم بالملايين .

هذه الأمّة تملك قوّة الأخلاق ولكنّها تحتاج إلى رجال يجنّدونها .

---

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢) ، وقال مخرّجوه : صحيح وهذا إسناد قوي ، والبخاري في الأدب المفرد (١٠٤/١) ، والحاكم في التاريخ (٦١٣/٢) ، وصحّحه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥) عن أبي هريرة .

من ثمرات الشدائد والمحن :

١- كشف المنافقين :

لقد كان من ثمرات هذه الهجمة أيضًا : أنها كشفت القناع عن المنافقين الزائفين المزيّفين ، الذين يقولون آمنّا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، الذين ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ (البقرة:٩) ، كشف هؤلاء الموالون للأعداء ، الذين يدّعون أنّهم دعاة الحرية ودعاة الليبرالية ودعاة السلام ، وهم في الحقيقة عبيد الدولار ، إنّهم يقبضون من وراء ستار ، إنّهم يعملون لهذا الذي اشتراهم بدولاراته ، وتولوه ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ (المائدة:٥١) .

انكشف زيف هؤلاء الذين وصفهم محمّد ﷺ حينما قال عنهم : « دعاة على أبواب جهنّم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها » قالوا : صفهم لنا يا رسول الله . قال : « هم من جلدتنا ، ويتكلّمون بألسنتنا »[1] لسان عربيّ مبين ، ولكنّه لسانٌ كاذبٌ زائف يسير في ركاب أعداء الله ويعادي أمته .

انكشف الزّيف ، هذا من ثمرات هذه المحنة .

٢- بروز جيل النّصر المنشود :

ومن ثمرات هذه المحنة : بروز الجيل الذي تربّيه المحن ويُصهر في بوتقة الأحداث الذي يعيش بين نيران الشدائد ، فتصهر معدنه ، وتربّيه على الثبات وعلى القوّة .

هذا الجيل قد رأينا بشائره في جنين ، وفي الخليل ، وفي غزّة ، وفي نابلس ، وفي غيرها من بلدان الإسلام .

هذا الجيل . جيل النّصر إن شاء الله ، هو الذي سيأخذ على عاتقه أن يقف لأعداء هذه الأمّة بالمرصاد ، وأن يذود عن حياضها ويدافع عن حُرُماتها ومقدّساتها بالنّفس والنّفيس ، والغالي والرّخيص . لا يبالي ما أصابه في سبيل الله ،

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في المناقب (٣٦٠٦) ، ومسلم في الإمارة (١٨٤٧) ، عن حذيفة ابن اليمان .

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (آل عمران:١٥٧،١٥٨) .

﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (محمد:٤-٦) .

يا أيها الإخوة :

نحن على أبواب رمضان ، شهر القرآن . شهر تجديد الإيمان . ربيع الحياة الإسلاميّة . الشهر المطهر ، فعلينا أن نستفيد منه ، أن نشحن البطاريات فيه ، أن نتزود بالتقوى ، أن نخرج من هذا الشهر الكريم وحظّنا منه : كسب الرحمة والمغفرة والعتق من النّار .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

الخطبة الثانية :

أما بعد ، فيا أيها الإخوة المسلمون :

الامتناع عن التدخين :

أصدرت دولة قطر قانونًا ينبغي أن يُراعى ويُحترم ، سيبدأ تنفيذه من أوائل رمضان ، هو : الامتناع عن التدخين في الأماكن العامّة وفي المدارس والجامعات وغيرها .

وأنا أقول : ليت الناس يمتنعون بغير قانون ، ويمتنعون عن التدخين في المدارس وفي البيوت من تلقاء أنفسهم .

إنّ معظم هذه الأموال التي ندفعها لشراء السجائر ، تذهب في غالبها إلى شركات استعماريّة ، أكثرها صهيونيّة أو موالية للصهيونيّة .

فكيف ندفع أموالنا إلى أعدائنا؟!

كيف يهون علينا أن نضرّ أنفسنا بفلوس ندفعها من قوتنا ، وقوت أولادنا ، ومن عصارة أرزاقنا؟!

هذا أمر لا يجوز شرعًا ، ولا يجوز عُرفًا ، ولا يجوز خلقا .

ولذلك أنا أدعو كلَّ مسلم أن يكون هو رقيبًا على نفسه قبل القانون .

ليت الذي يدخّن ينظر : كم كان يتكلّف في الشهر؟ خمسمائة ريال مثلاً ، ففي السنة : ستة آلاف ريال! ثمّ يقرّر : والله إنّي لأرصدها للإخوة في فلسطين وأمنع نفسي من هذا السّمّ البطيء .

ليت الذين يتناولون السجائر وما شابهها يفعلون ذلك .

نحن في حاجة إلى أن نربّي أنفسنا من جديد .

الاستمرار في مقاطعة بضائع الأعداء :

لا بدّ أن تمضي سنّة المقاطعة التي دعونا إليها ، مقاطعة البضائع الصهيونيّة والأمريكيّة ، لا بدّ أن نستمرّ في هذا ولا نيأس .

إنّي ليعجبني الأطفال وهم يراقبون آباءهم وأمهّاتهم ، ويقولون لهم : يا أبي ويا أميّ ، لا ، هذه بضاعة أمريكيّة . والآباء ـ مع الأسف ـ كأنّما سدّوا أُذُنًا من طين وأُذُنًا من عجين .

لا ينبغي أن نتساهل ، المعركة مستمرّة ، بل المعركة تزداد استعارًا واشتعالاً ، فلا بدّ أن نستمرّ في مقاطعة هذه البضائع .

هذا أمر لا بدّ منه ، وهو تربية للأمّة من جديد . ليست المسألة اقتصاديّة فقط ، المسألة اقتصاديّة وأخلاقيّة ونفسيّة وتربويّة وسياسيّة .

هذا ما أدعو إليه أبناء هذه الأمّة .

تجديد التوبة والاجتهاد في العبادة :

وأرجو من الإخوة جميعًا أن ينتهزوا شهر رمضان ليتوبوا إلى الله توبة نصوحا . كلّ مفرّط وكلّ مقصّر وكلّ عاص عليه أن يقرع باب الله ، ويقول : تُب عليّ يا ربّ . أستغفرك يا ربّ ، والله لا يردّ عن بابه أيّ قادم عليه ، من أقبل عليّ منكم تلقيّته من بعيد ومن أعرض عنيّ ناديته من قريب .

لنرجع إلى الله ، لنخلص الدعاء في شهر رمضان . أدعو الصائمين أن يدعو الله عند الإفطار ، فللصائم عند فطره دعوة لا ترد ، وأدعو الأئمّة في المساجد أن يدعوا

الله سبحانه وتعالى في القنوت ، وأدعو المصلّين أن يدعوا الله في السجّود ، وأدعو المتسحرين أن يدعوا الله في السّحر ، السّحور ليس للأكل فقط ، القيام للسّحور فيه زاد للبطن ، ولكن فيه زاد للروح : الذكر والدعاء والاستغفار .

انتهزوا شهر رمضان لترطّبوا ألسنتكم بذكر الله ، وبتلاوة القرآن .

استفيدوا من هذا الشهر ، ابحثوا عن المساجد التي يطيل فيها الأئمّة صلاة التراويح . فماذا تفعل بعد صلاة التراويح؟ ستذهب إلى البيت لتتكلّم عن هذا وذاك وتكسب سيّئات ، اكسب حسنات ، أفضل لك وأزكى .

انتهز هذا الشهر أيها الأخ المسلم ، وأحسن صيامه ، وأحسن قيامه ، وادعُ ربَّك ، واسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل لهذه الأمة من عُسرها يُسرا ، ومن ضيقها فرجا ، ومن همّها مخرجا .

سنصلّي التراويح إن شاء الله على عادتنا في جامع (الشيوخ) ابتداء من أوّل ليلة من رمضان ، وفي الغالب ستكون ليلة الأربعاء القادم إن شاء الله .

اللهم هيّئ لهذه الأمّة من أمرها رشدًا . اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك . اللهم اجمع كلمة هذه الأمّة على الهدى ، وقلوبها على التقى ، ونفوسها على المحبّة ، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل . اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا ، واجعل غدنا خيرًا من يومنا ، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام (ثلاثًا) ، اللهم رُدّ عنّا كيدهم ، وفُلّ حدّهم ، وأزل دولتهم ، وأذهب عن أرضك سلطانهم ، ولا تدع لهم سبيلا على أحد من عبادك المؤمنين . اللهم عليك باليهود المعتدين الغادرين ، اللهم عليك بالأمريكيّين المعتدين ، اللهم عليك بالوثنيّين المتعصبيّن ، اللهم عليك بالصليبيّن الظالمين ، اللهم عليك بجميع أعدائك أعداء الدين ، اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يُردّ عن القوم المجرمين .

* * *